

ثورات الشعوب مشهد جديد
لانهايار نظرية الحكم في إيران

فشل الإسلام السياسي في إدارة الدولة مهد لانتفاضات شعبية



طبقة باتت في مرمى الغضب الجماهيري

استلهم عدد من منظري ودعاة الإسلام السياسي المقولات الشيوعية، خاصة العدالة الاجتماعية والمساواة، بغرض ملء الفراغ الأيديولوجي وصياغة نموذج إسلامي قادر على الإقناع. وحاول آية الله الخميني الذي قاد ثورة إيران سنة 1979، محاكاة الفكرة والمشروع بلباس ومظهر إسلامي بزعم أنه سينصف المستضعفين والمهمشين، ومنه استنسخ المصري الإخواني سيد قطب هذه الأفكار لتبنيها على الساحة السنية، غير أن تجارب الحكم المختلفة سواء في إيران أو السودان أو العراق أو لبنان كشفت عن تهافت تأصيل المسألة الاجتماعية لدى التيارات الإسلامية، وهو ما تطلعت إليه الشعوب حالياً لتكتب عبر ثوراتها الهادرة فصلاً جديداً في مسيرة الانهيار المتسارع للأيديولوجيات الإسلامية.

هشام النجار
كاتب مصري

القاهرة - كشفت التظاهرات التي اندلعت في كل من العراق ولبنان، ثم إيران، أن نظام الملالي في طهران يعاني من أزمة هيكلية في خطابه الإسلامي، فبعد أن اعتمد على مناصره الميمشين والتمسك بما يسمى بقوى الاستكبار، بات يمارس انتقائية واضحة في مواجهة التفتحات الجماهيرية التي تستهدف نظامه، ما يشكل خلافاً في المنظومة القيمية للثورة الإسلامية، وتتجاوز هذه المسألة الشق الشيعي، وبدأت تفضح خفايا بعض التوجهات في الشق السني أيضاً.

وسجل الارتباك والخلط الأيديولوجي في سياسات الإسلاميين داخل هذين الشقين علامة متقدمة ضمن مسببات الثورة ضددهم، فهم لم يطرحوا منهجاً واضح المعالم ولم يمهّدوا سبلاً جديدة في السياسة والاقتصاد، بل احتلت جماعاتهم مواقع الأحزاب القديمة المتهمه بالجزع والفساد مستغلة هياكلها لتحقيق مصالحها وبسط نفوذها.

وظف عدد من منظري ودعاة الإسلام السياسي المقولات الشيوعية بغرض ملء الفراغ الأيديولوجي وصياغة نموذج إسلامي قادر على الإقناع، ومحاولة امتلاك نظرية تبدو في حالة تنافس مع الرأسمالية والشيوعية.

وبحسب مزاعم الملالي، بفضل الشيوعية التي أهرت انتشارها الإسلامي، صار لديهم أمل في محاكاة الفكرة والمشروع بلباس ومظهر إسلامي، ومن منطلق حلم تأسيس دولة منطلقاتها فكرية استطاع شيخ معمم أن يؤدج الثورة الإيرانية ويقود ثورة المستضعفين ضد طبقة رأسمالية متعفنة ونظام مستبد عميل للإمبريالية.

ولم يكن مفهوم العدالة الاجتماعية مركزياً في المنظومة الفقهية التي استمد منها المصري الإخواني سيد قطب أسس المشروع الإسلامي، ذلك يدين إسلاميو السنة لنظراتهم الشيوعية بإسهامهم في توليد هذا المفهوم وتلويحه ضمن مسار نزاع الشريعة من الفكر الشيوعي واجتذاب الملايين من المهمشين الذين تداعب أحلامهم فكرة العدالة والمساواة. وعزى الإسلاميون السنة وعيهم المتأخر بمنطلقات هذا المشروع لا إلى

وعندما تُجرى المقارنات تُرجح حظوظ الإسلام السياسي الشيعي لنيل الأفضلية على نظيره السني، فقد أنجح الأول نموذجاً ثورته وتمكن من العبور بها إلى إقامة نظام حكم استمر أربعين عاماً مكتسباً نفوذاً داخل عدد من العواصم العربية، بينما فشل التفكير السني على أساس شرعي في تحقيق إنجازات كبيرة وممتدة في ما يتعلق بالحالة الثورية أو بامتثال السلطة والحكم.

وقوع أنظمة الحكم التي يديرها الإسلام السياسي الشيعي بشكل مباشر أو بالوكالة في مرمى الثورات والغضب الجماهيري مؤخرًا انهيار لنظرية الحكم الأيديولوجية وفتح للخديعة الفكرية الثورية التي انطلقت من إيران في نهاية سبعينيات القرن الماضي لتخرج مجمل الإسلام السياسي من قمع الانعزال والخبوية العقيدية إلى التحشيد الجماهيري الواسع بزيعة امتلاك الخلاص للفقراء والمستضعفين.

أهدر الإسلاميون الأسس الفلسفية للنظرية الماركسية وأخذوا من بعض الأنظمة الرأسمالية أسوأ تطبيقاتها من خلال استقادة طبقة معينة على حساب غالبية الشعب، وتكريس الثروة لدى طبقة فاحشة الغناء وحرمان الكادحين الذين يمثلون الغالبية.

الثورات المندابية بالمساواة
والعدالة الاجتماعية وفرص
العمل في إيران والعراق
ولبنان أثبتت أن الإسلاميين
لم يعبروا يوماً عن انتظارات
الشعوب وتطلعاتها

وشكل تيار الإسلام السياسي، بشقيه السني والشيوعي، خلال تجربة حكمه الطويلة في إيران والقصيرة في مصر وبعض الدول العربية، خليطاً تم المزج فيه بين أسوأ ما في النظريات الرأسمالية والماركسية وتطبيقاتها، فقد أخذ عن الأولى استغلال الآخر وتجويعه، واختزل التطبيق الماركسي في تقييد الحريات وفرض الرقابة الصارمة على حركة المواطن.

وبلغت نرجسية الإسلاميين حد إزاحة التيار التقدمي وأصحاب النقاء الفكري من التيارات الأخرى استناداً لقوة تنظيمهم، لمجرد إثبات أن لديهم مشروعهم الخاص، وما يطرحونه من مشروع عدالة اجتماعية مميّز عن مفهومها الشيوعي تحت زعم أن التحرر فيها مادي والمساواة منقوصة بغرض احتكار تلك المفاهيم.

ولم يكن الإسلاميون مبدعين في المفاهيم التي أقاموا عليها خططهم للاستحواذ على السلطة، ولذا رسخوا من اغتالهم ورفضهم لآخر ومنعوا كل أشكال التواصل مع التيارات الأخرى ومع الأفكار الفلسفية والتقدمية، وحاولوا إخفاء خططهم الفكرية والعداء للقيم الاشتراكية، من مساواة وعدالة اجتماعية،

ومن جانب آخر للتصورات الليبرالية، من حريات فردية وديمقراطية وتداول سلمي. واثبتت الثورات المندابية بالمساواة والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية وفرص العمل ضد إيران والعراق ولبنان أن الإسلاميين تحديداً لم يعبروا يوماً عن ثورة الجماهير المحرومة والكادحة ومطالبها ولم يتبنوا يوماً المفاهيم الاقتصادية الاشتراكية، إنما سعوا منذ البداية إلى اليوم للطائفية والمحاصصة واستغلال ثروات الشعوب وتطلعاتها والحياة الكريمة، بغرض تعزيز سيطرة الفئة الطبقية التي تمثلهم وتعزيز سيطرة رجال الأعمال المرتبطين به من خلال الهيمنة على الدولة.

تكتب ثورة الشعوب حالياً فصلاً جديداً في مسيرة الثورات معلنة إفلاس وخديعة تيار الإسلام السياسي الذي طمس معالم المناهج والنظريات الثورية التقدمية تحت شعارات فارغة من المضمون وعجز عن تحقيق التنمية، وظلت هيمنته وممارساته على مدى عقود طويلة ضد تطلعات الملايين بعالم أفضل خال من الجوع وكبت الحريات والبطالة والفقر.

وعلى عكس ما جرى خلال الثورات التي أسهم فيها الإسلاميون في الموجة الأولى بغرض السطو عليها نتيجة قوة تنظيمهم، فإن الثورات الشعبية ضددهم في الوقت الراهن تجد صعوبة في إسقاط أنظمة حكمهم المؤدلجة والطائفية، فالحراك تغلب عليه التلقائية ويحتاج لأن تقوده قوة منظمة تحمل مشروعاً سياسياً وفكرياً متكاملًا، والحضور الخافت للقيادات المناضلة التقدمية، نتيجة طبيعية لإفراغ الساحة على مدى عقود من مناضليها الحقيقيين لحساب الإسلاميين وتنظيماتهم.

انطلقت هذه الثورات من صفوف الشعوب بتلقائية لتعبر عن أمالها والإمها، ومن شأنها تحقيق العديد من الإيجابيات، منها إعادة الاعتبار للشعوب واستعادتها فقتها بنفسها وقدرتها على التغيير، لكن يظل التغيير نسبيًا مع عدم وجود كيانات ثورية تقدمية منظمة تعبر عن حقيقة إرادة الشعوب وتصنع قراراتها وترجم مطالبها.

ويشجع برزور الشباب كشرحة محركاً للمجتمع وانحسار دور الأحزاب الأيديولوجية على استعادة القيم الثورية والانصراف لها من خلال نضال قوى تقدمية منظمة، قادرة على إحداث تغيير شامل وجذري في تركيبة المجتمع وفلسفته وأهدافه، بما يحقق فعلياً مصالح الشعوب وتطلعاتها.

ويرتبط الإنجاز الثوري بالخاصية التي تحتاج إليها القوى التقدمية المتمثلة في قوة التنظيم والإداء الحركي الحزبي المنضبط، وهو الوسيلة المثلى لإنجاح ثورات الشعوب في مواجهة أنظمة الإسلام السياسي، وبها تجتمع مصادقية الفكرة وتماسك النظرية مع قوة التنظيم، تحرير المظلومين والمستضعفين من دائرة العبودية والقهور إلى فناءات العدالة والمساواة والحرية.

نصرالله وقميص
المقاومة الفارسيمحمد طعيمة
كاتب مصري

أردت مرات في جريدتي العربي والكرامة القاهريتين، الناصريتين، اسمه بـ"رضي الله عنه"، بالتزامن مع العدوان الإسرائيلي على لبنان 2006، وبالتوازي كانت كتاباتي تطارد دعم نظام مبارك لمنافسيه اللبنانيين، وتسببت إحداها في جدل مصري داخلي، منه مطالبة الصحافي الوفدي الراحل، مجدي مهنا، عام 2008، مرتين في المصري اليوم، الحكومة إما بتكديبي وإما الإقرار بخطأ تدريبها عناصر "معادية" لحزب الله والتوقف عن ذلك والاعتذار. كان السياق العام في مصر مع "المقاومة"، متجاهلاً الانتقادات الموجهة للحزب.. نمولاً وسلاحاً واجتياحاً لبيروت في 7 مايو 2008.

بدأت صورة حسن نصرالله "المقاوم العربي" تُخدش مع اكتشاف زرع خلية له في مصر، وتجنيد عناصر تهرب، مع الأسلحة، إلى غزة للانضمام لحركة صابرين الشعبية عام 2005، ضمن أنشطة الوحدة "1800" المكلفة بالعمليات الخارجية للحزب تحت إشراف قاسم سليمان، وضبطت الخلية نوفمبر 2008، وأقر نصرالله بتبعيتها له زاعماً أنها لـ"خدمة

المقاومة الفلسطينية لوجسيتياً". ثم مخاطبته للجيش المصري وتحريضه للانقلاب على نظام مبارك وخلفه علم حزبه عام 2010.. وتلقيه رسائل انتقاد من شخصيات مصرية داعمة للمقاومة، منها حسنين هيكل وحمد بن صباحي، عن تصرفه الأخير. ثالثة الخدوش كانت انتهاكه للسيادة الوطنية وإرساله "مقاتليه" لإخراج عنصره محمد يوسف منصور من سجن وادي النطرون بقيادة كادر إيراني من فيلق القدس، خلال 25 يناير، وظهوره بعد أسبوعين في قناة "المنار" ملوحاً بعلم الحزب بذلك.

كنت مخوعاً، كما كثيرين، في "القميص العربي" المنسوب إليه، واعتبرتها ضمن ارتباكات قطاع من القوميين حرمهم التراكم التاريخي لبلدانهم من الوعي بدلالة "الدولة" لدى المصريين.

الصدع الأول في صورة نصرالله جاء مع تحركه تحليفاً للحوثيين، وشرخها تباهيه مراراً بتبعيته لقائد "دولة أجنبية"، هذا هو التوصيف التقني... "أجنبية". تباه لا تغفره طبيعة الموزايك اللبناني والتداخلات التي صاحبت دولته منذ تأسيسها، أقله أنه عميل لسفارة "أجنبية" مثل الذين يتهمهم بذلك من منافسيه المحليين، ومعهم نشطاء ثورة الأرز المستمرة، دون أن تثبت عليهم التهمة بـ"سيد

الأدلة"، الاعتراف. يتمرس نصرالله خلف قميص المقاومة واستهداف سلاحها، ومن أجلها تغاضى معظم مؤيديه، من خارج الطائفة، عن شبهات علاقته بطهران. وفصل قطاع من مؤيديه العرب بينه وبين السلوك الإيراني كرامة للشعراء، الذي كان لعبة فارسية من البداية.

لعبة لن تخفيها تناقضات علاقة "سيدنا خامنئي"، حسب تعبير نصرالله، بالشيطان الأكبر، فقد "استثمر النظام الإيراني منذ التسعينيات في علاقة حسنة مع الولايات المتحدة". وساعدها في الحرب على العراق سنة 1991. نال ثناءها على تجاهله الانتفاضة الشعبية

صورة نصرالله «المقاوم العربي» بدأت في الانكشاف مع زرع خلية له في مصر، وتجنيد عناصر غرة للانضمام لحركة صابرين الشعبية عام 2005، تحت إشراف قاسم سليمان

في جنوب العراق. تكيف مع متغيرات البيت الأبيض عبر العقود، صبر على بوش وتعامل بحسن نية مع خطابه الشهير في 2002 عن محور الشر، رغم التنسيق بينهما، عبر وسطاء، أبوخليل حليف حزب الله الذي ينقل عن كنيث بولاك، مدير شؤون الخليج العربي في مجلس الأمن القومي بواشنطن، تأكيد في كتابه "الأحجية الفارسية: الصراع بين إيران وأميركا"، أن إيران تعاونت أيضاً مع أميركا في العراق بعد غزو 2003.

العلاقة مع واشنطن هي الهدف، والمقاومة منذ البداية مجرد كرة للعب بينهما، والملعب هو الخارطة العربية يتنازعها الشيطان الأكبر وذراعها الإسرائيلي مع ملاي الفرس. تكلم مع مقال حليف حزب الله.. "شعر النظام الإيراني بخطر أميركي إسرائيلي وشيك بعد خطبة بوش المهمة أنجرت" مايو 2003.

رفض بوش الصفقة الإيرانية وفق بارزي، الذي يترأس "المجلس الأميركي الإيراني الوطني"، ووصفه أسعد بـ"اصح داعية سلام بين الطرفين، ولعب دوراً في ترطيب علاقةاتهم". بقي الإهم "الاحترام الأميركي لإيران ودورها كقوة إقليمية". يقول بارزي، الذي صفه كاتب أميركي راساً لـ"اللوبي الإيراني" في واشنطن، قفاضاً، إن الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما اعتبر أن "الشرق الأوسط غير قابل للإصلاح، وكلما تفاعلت الولايات المتحدة مع مشكلاته، زادت سوءاً، وتحملت لوما أكبر"، وأن دورها الإقليمي لم يرفضه أوباما حسب بارزي، وهو يؤكد أن "المباحثات بين الجانبين لم تقتصر على الشان النووي والعقوبات، بل تعدتها إلى قضايا أخرى ساخنة في المنطقة". كانت طهران تنتظر فوز هيلاري كلينتون بالرئاسة لتكتم الصفقة، والآن تنتظر هزيمة دونالد ترام في الانتخابات القادمة. لهذا رفض المرشد استقالة طهران في 25 فبراير الماضي، فدوره لم ينته.

ولهذا، كما كشفت رويترز في 25 نوفمبر الماضي، أمر بالرد على تغليظ البيت الأبيض للعقوبات بخرب مشنة عربية على أرض عربية: "يشترط ألا يصاب مدني أو عسكري أميركي"، فهو لا يرانا سوى أوراق لعب.. دولا ومقاومة، هو محورها الإقليمي. بداهة طهران إن تكون قوة إقليمية في مواجهة "العدو الصهيوني"، فالصفقة عملياً معروضة عليها، وليست ضد تركيا، وإنما على مقدرات أمة نافستها وحاربتها تاريخياً.

الم يكن نصرالله يعلم بالصفقة المعروضة منذ 16 عاماً، والتي تلتزم حرقياً بـ"نزاع سلاح المقاومة والاعتراف بالعدو الصهيوني"، ماذا بعد صدور كتاب بارزي؛ والرجل قارئ نهم وجهازه المعاون يتابع كل ما ينتشر أو يمس الحزب. الأمر لا يحتاج لكتاب، فالسياق واضح، لم يكن مقاومة، كان ومازال كيانا وظيفياً فارسياً.

